المحاضرة السادسة: ردود الفعل الدولية والإقليمية من الاحتلال الفرنسي للجزائر

1- موقف الدولة العثمانية:

تخلفت الدولة العثمانية عن أي رد فعل اتجاه الاحتلال الفرنسي للجزائر، ويرجع ذلك للمشاكل الداخلية والخارجية التي كانت تعاني منها الدولة منها زيادة للتحرشات الأوروبية وخاصة من قبل روسيا والنمسا إلى جانب محاولة محمد علي باشا الاستقلال وتحالفه مع بعض الدول الأوروبية للقضاء على الدولة العثمانية، كما كانت ساخطة أيضا على حكومة الداي حسين ، فلم تدافع عن حقوقها السيادية (ولو الإسمية) على الجزائر، ولم تستجب للنداءات النجدة المتكررة للجزائريين، وعليه فقد اكتفت بالمبادرات الهزيلة الصورية لمنع فرنسا من احتلال الجزائر ثم لمحاولة استردادها بعد الاحتلال ومن ذلك:

- حاولت التوسط بين الجزائر وفرنسا لحل النزاع بينهما
- بعد الاحتلال ناشدت الحكومة الفرنسية سحب قواتها من الجزائر مرارا
- أما المحاولة شبه الجادة الوحيدة التي بذلتها الدولة العثمانية لاسترداد الجزائر، فتمثلت في التخطيط لإرسال قوة بحرية إلى تونس في صيف 1837 لتقوية مركزها هناك، والاتصال بأحمد باي لكن السلطان أصدر أوامره إلى قائد الأسطول بأن يلازم ميناء طرابلس ولا يقترب من تونس، جُبْناً عن ملاقاة الأسطول الفرنسي.

2- موقف الدول الأوروبية.

- كان الموقف الاسباني يشجع الحملة الفرنسية على الجزائر من خلال مساهمته الفعالة المادية والمعنوية والبشرية ومن ذلك السماح للحملة الفرنسية بالتوقف في ميناء جزر البليار للتزود بالموؤن، وكذا إقامة مستشفيات ميدانية لمعالجة الجند الفرنسيين وغيرها، وذلك رغبة في الانتقام من المسلمين بشمال افريقيا، وللحملات الاسبانية الفاشلة لاحتلال الجزائر الى جانب استرجاع مكانتها بعد طردها من مدينة وهران سنة 1791م.
- كما استفادت الدولة الفرنسية من دعم الامارات الإيطالية، فملك سردينيا شارل فليكس كان يريد التخلص من الجزية السنوية التي يدفعها إلى حكومة الداي في الجزائر، كما سمح البابا بيونس الثامن للحكومة الفرنسية باستخدام موانئ بلاده، وكذلك فعل ملك نابولي الذي رخص لتجار بلاده أن يؤجروا سفنهم للجيش الفرنسي، ويمكن القول كل الدويلات

الإيطالية وافقت وأيدت الحملة الفرنسية لاحتلال الجزائر، وسارعت لتهنئة ملك فرنسا شارل العاشر على مشروعه الذي كانت تعتبره خدمة للمسيحية.

– تعد بريطانيا الدولة الوحيدة التي وقفت في وجه فرنسا حيث سعت لإفشال المخطط الفرنسي من خلال نشاطها الدبلوماسي الذي قاده سفرائها لتطويق المشروع من خلال فضح الاطماع الفرنسية بالمنطقة وبيان خطر ذلك على المنطقة وأوروبا، غير أن الموقف الانجليزي بطبيعة الحال لم يكن يهدف للدفاع عن مصالح الجزائريين، وإنما يدخل في إطار الصراع التاريخي بين فرنسا وبريطانيا حول مناطق النفوذ والمصالح الاقتصادية في البحر الأبيض المتوسط.

3– موقف الو.م.أ:

ساندت الولايات المتحدة الأمريكية فرنسا في عملية الاحتلال بل وكانت من أول الدول التي أيدت فرنسا ويضهر من خلال نصح الرئيس الأمريكي جورج واشنطن للملك الفرنسي بغزو الجزائر قبل سنة 1830م، وسبب هذا الموقف هو رغبة الو.أ.م في القضاء على قوة الاسطول الجزائري والذي كانت تدفع له الاتاوات مقابل مرورها في حوض البحر الأبيض المتوسط.

4– موقف روسيا:

باركت روسيا الاحتلال الفرنسي للجزائر ومنحت تأييدها للحملة من خلال مشاركة أحد ضابطها في الحملة الفرنسية على الجزائر، كما شجعت الاحتلال من خلال ردة فعل القيصر الروسي ألكسندر الأول حول طلب السفير البريطاني لمعارضة المشروع الفرنسي مجيبا إياه ان روسيا ليس لديها أي اعتراض اتجاه الحملة الفرنسية، وسبب هذا الموقف أن روسيا كانت في حرب مع الدولة العثمانية ورغبت في أن تحظى بدعم فرنسا ومن ناحية لم تكون لها أطماع في البحر الأبيض المتوسط كونها بعيدة جغرافيا عنه.

5–موقف الدول العربية:

أيد حكام تونس العدوان الفرنسي بخلاف الشعب التونسي حيث فتح باي تونس المجال أمام جيش الاحتلال الفرنسي لمهاجمة الجزائر من الناحية الشرقية، وبعد إنهاء الحملة أرسل الباي وفد للقيادة الفرنسية يقدم تهانيه لما قدمه جيش الاحتلال الفرنسي، كما ساندت الحكومة التونسية الجواسيس الفرنسيين بالجزائر، يرجع تردي العلاقات التونسية الجزائرية الى مجموعة من الدوافع الرئيسية التي أدت الى الموقف السلبي الرسمي التونسي اتجاه الاحتلال الفرنسي للجزائر أهمها :

– أطماع حسن باي التوسعية على حساب الأراضي الجزائرية، وضم إقليم قسنطينة ومنحه لاحد افراد عائلته .

– تخوف الباي التونسي من الاطماع الفرنسية التوسعية .

– العلاقات التجارية الفرنسية التونسية وتورط الباي في ديون لصالح تجار فرنسا سنة 1829م.

فيما يخص الموقف المغربي التزم السلطان عبد الرحمن في البداية الحياد على نقيض شعبه الذي كان مع الجزائر إلى غاية أن قررت فرنسا معرفة الموقف المغربي من الاحتلال الفرنسي للجزائر، فبعثت قنصلها المقيم بالمغرب الذي اتصل بدوره بالمولى عبد الرحمن يطلب منه المساندة ومساعدة الاسطول الفرنسي في حملته على الجزائر، فوافق المولى عبد الرحمن مقابل دفع الرسوم الجمركية هذا من جهة، ومن جهة أخرى قامت السلطات المغربية بإرسال مجموعة من الجواسيس الى الجزائر في شكل رجال زوايا من الطريقتين الشاذلية والطيبية، حيث زود هؤلاء الرجال السلطات الفرنسية بمعلومات واخبار افادتهم في الحملة.

ثانيا: نتائج الاحتلال الفرنسي للجزائر

1– سقوط مدينة الجزائر، فبقية المدن الساحلية الهامة كوهران عام 1831، وعنابة في 1832، وبجاية ومستغانم في 1833، وكذلك البليدة والقليعة عام 1932 وقد صاحب ذلك اقتراف أشنع الجرائم بحق الجزائريين طالت منهم الأرواح والأموال والأملاك والأعراض والمقدسات، نذكر منها مجزرة العوفية التي اقترفتها القوات الفرنسية ليلة 6–7 أفريل 1832، وأسفرت عن ذبح وإبادة قبيلة العوفية (الأوفياء) أثناء نومها بالقرب من برج القنطرة بالحراش، وقد شهد قادة العدو على أنفسهم بأنهم قتلوا أثناء هذه المجزرة كل شيء يتحرك، ونهبوا كل ما يمكن أخذه، ولم يفرّقوا بين كبير وصغير ولا بين ذكر وأنثى.. وعند العودة كان الرجال الفرنسيين يحملون آذان نساء بأقراطها وعُرضت أسلاب المذبحة في سوق باب عزون، وشوهد من بينها أساور نساء ملتصقة بمعاصمهن المقطوعة، وأقراط معلقة بقطع من اللحم.

2–انتهاء عهد السيادة العثمانية الاسمية على الجزائر وبداية عهد الاحتلال الفرنسي حيث تم إلحاق الجزائر بفرنسا بمقتضى قرار 22 يوليو 1834، وتعيين أول حاكم عام عسكري عليها .

3– انتهاك المقدَّسات، كالاعتداء على المساجد بالهدم أو تحويلها إلى محلات أو مساكن للعسكريين أو مصالح إدارية أو كنائس أو كاتدرائيات بالعشرات وأهم المساجد المتضررة جامع كتشاوة بالعاصمة، الذي احتلته القوات الفرنسية، وحول يوم 24 ديسمبر 1832 إلى كاتدرائية "القديس" فيليب".

4- مصادرة أملاك الأوقاف الإسلامية، وضمها إلى أملاك الدولة الفرنسية بموجب قرار 8 ديسمبر 1830ومصادرة أملاك القبائل المجاهدة ابتداء من عام 1832 .

5- هدم ثلث العاصمة خلال السنوات الثلاث الأولى من الاحتلال لتغيير معالمها وبنيتها الثقافية والاجتماعية.

6-البداية الفعلية الواسعة للاستعمار الأوروبي في العالم العربي وإفريقيا .

7-اندلاع المقاومة الشعبية المسلحة بقيادة عدد من الزعماء في طليعتهم المجاهدان علي بن السعدي وابن زعمون بمنطقة متيجة، والشيخ محيي الدين، ونجله عبد القادر بالمنطقة الغربية.

وصفوة القول كان نجاح الغزو الفرنسي ثمرةً لضعف الجزائر والعالم الإسلامي عموماً أمام دول أوروبا الناهضة، ولانفصام العلاقة بين حكامها وجماهيرها وتفكك جبهتها الداخلية، كما كان مناسبة لبروز الروح التآمرية لدول أوربا على البلاد الإسلامية، وروح التخاذل لدى حكام تلك البلاد، مما سيدشن مرحلة التسلّط الاستعماري على المنطقة بأسرها.